هدي النبي ﷺ والأصحاب في الطعام والشراب

رمزي صالح محمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هَدْي النبي والأصحاب في الطعام والشراب

كتبه

رمزي صالح محمد

١٨ من المُحَرَّم ١٤٤٤هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وآله وأصحابه أجمعين، أما بعد، فهذه رسالة قد كتبتها، وذكرت فيها شيئا من هَدْي النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته هو وأصحابه الكرام وأتباعهم في المأكل والمشرب، وقد سميتها «هَدْي النبي والأصحاب في الطعام والشراب» فعسى أن نقتدي بهم، فنصل إلى ما وصلوا إليه من عز الدنيا ونعيم الآخرة، وقد انتقيت أصح الأحاديث التي وردت في هذا الباب، وقمت بشرح وتبيين لكلماتها التي تحتاج إلى تبيين.

أولا: ما جاء في كتاب الله عز وجل

قال الله عز وجل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «كُلْ ما شِئْتَ والْبَسْ ما شِئْتَ، ما أخطأتكَ اثنتانِ: سَرَفٌ أو مَخِيلَةٌ». [١]

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]

---

[١] «صحيح البخاري» (٧/ ١٤٠ ط السلطانية) معلقا، ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٤٨٧٨) وقال الحافظ ابن حجر: موقوف صحيح. «الأمالي المطلقة» (ص٣٤).

ثانيا: ما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

١- عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن يأكل في مِعًى واحدٍ، والكافر يأكل في سبعةِ أمعاءٍ» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.[٢]

(مِعًى) بكسر الميم مقصور منون، مثل (غِنًى)، وجمعها أمعاء، وهي المصارين. [٣]

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث وما كان مثله، فليس فيه إلا مدح المؤمن بقلة رغبته في الدنيا وزهده فيها، بأخذ القليل منها في قوته وأكله وشربه ولبسه وكسبه، وأنه يأكل ليحيى لا ليسمن، كما جاء عن الحكماء، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما ملأ ابنُ آدم وِعاءً شرًا من بطنه، حسب ابن آدم أُكُلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)، وقد كانت العرب تمتدح بقلة الأكل، وذلك معروف في أشعارها، فكيف بأهل الإيمان! وأما من عَظُمَتْ الدنيا في عينه من كافر وسفيه، فإنما همته في شِبَعِ بطنه ولذة فرجه، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المؤمن حق المؤمن شأنه يأكل في مِعًى واحد». [٤]

ونقل الحافظ ابن حجر عن بعض العلماء قولهم: «المعنى أن من شأن المؤمن التقلل من الأكل؛ لاشتغاله بأسباب العبادة، ولعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع ويمسك الرمق

---

[٢] «صحيح البخاري» (٥٣٩٣) و(٥٣٩٦) «صحيح مسلم» (٢٠٦٠) و(٢٠٦٢)

[٣] «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر (٩/ ٥٣٧)

[٤] «الاستذكار» لابن عبد البر (٨/ ٣٤٧)

ويعين على العبادة، ولخشيته أيضا من حساب ما زاد على ذلك، والكافر بخلاف ذلك كله، فإنه لا يقف مع مقصود الشرع، بل هو تابع لشهوة نفسه، مسترسل فيها، غير خائف من تبعات الحرام، فصار أكل المؤمن لما ذكرته، إذا نسب إلى أكل الكافر، كأنه بقدر السبع منه، ولا يلزم من هذا اطراده في حق كل مؤمن وكافر، فقد يكون في المؤمنين من يأكل كثيرا، إما بحسب العادة، وإما لعارض يعرض له من مرض باطن، أو لغير ذلك، ويكون في الكفار من يأكل قليلا، إما لمراعاة الصحة على رأي الأطباء، وإما للرياضة على رأي الرهبان، وإما لعارض كضعف المعدة». [٥]

٢- وعن المِقدام بن مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما ملأَ ابنُ آدمَ وِعاءً شرًا من بطنٍ، حسبُ ابنِ آدمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإن كان لا محالةَ، فَثُلُثٌ لطعامه، وثُلُثٌ لشرابه، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة. [٦]

---

[٥] «فتح الباري» (٩/ ٥٣٩)

[٦] «مسند أحمد ط الرسالة» (١٧١٨٦) و«سنن الترمذي ط الرسالة» (٢٣٨٠) و«سنن ابن ماجه ط الرسالة» (٣٣٤٩)

٣- (أُكُلات) بضمتين، جمع (أُكْلة) بضم الهمزة وسكون الكاف، وهي اللُّقْمة. فالأُكْلة كاللُّقْمة لفظا ومعنى. وفي رواية ابن ماجة وردت (لُقَيْمات) مكان (أُكُلات).[٧]

قال ابن القيم رحمه الله: «أخبر النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنَّ الإنسان يكفيه لقيماتٌ يُقِمْنَ صُلبَه، فلا تسقط قوَّته ولا تضعف معها. فإن تجاوزها فليأكل في ثُلُثِ بطنه، ويدع الثُّلُثَ الآخر للماء، والثَّالث للنَّفَس. وهذا من أنفع ما للبدن والقلب، فإنَّ البطن إذا امتلأ من الطَّعام ضاق عن الشَّراب، فإذا ورد عليه الشَّراب ضاق عن النَّفَس وعرَض له الكربُ والتَّعبُ بحمله، بمنزلة حامل الحمل الثَّقيل. هذا إلى ما يلزم ذلك من فساد القلب، وكسل الجوارح عن الطَّاعات، وتحرُّكها في الشَّهوات الَّتي يستلزمها الشِّبَع. فامتلاءُ البطن من الطَّعام مضرٌّ للقلب والبدن. هذا إذا كان دائمًا أو أكثريًّا. وأمَّا إذا كان في الأحيان فلا بأس به، فقد شرب أبو هريرة بحضرة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم من اللَّبن حتَّى قال: والَّذي بعثك بالحقِّ لا أجد له مَسْلَكًا. وأكل الصحابة بحضرته مرارًا حتَّى شبعوا.

والشِّبَع المفرط يُضْعِف القوى والبدن وإن أخصبه. وإنَّما يقوى البدن بحسب ما يقبل من الغذاء، لا بحسب كثرته».[٨]

---

[٧] «شرح المصابيح» لابن الملك (٥/ ٤٠٢) و«قوت المغتذي على جامع الترمذي» للسيوطي (٢/ ٥٧٨) و«حاشية السِندي على المسند»

[٨] «زاد المعاد في هدي خير العباد – ط عطاءات العلم» لابن القيم (٤/ ٢٢)

٤- وعن أم المؤمنينَ عائشةَ رضي الله عنها قالت: «ما شَبِعَ آلُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم منذُ قَدِمَ المدينةَ من خُبْزِ بُرٍّ ثلاثَ ليالٍ تِباعًا حتى قُبِضَ» رواه البخاري ومسلم.[٩]

(البُرُّ) هو القَمْحُ. و(تِباعًا) أي متتابعة

والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه ما كانوا يشبعون ثلاثة أيام متتابعة من خبز القمح، بل إن شبعوا منه يومين متتابعين، لم يشبعوا الثالث.

قال الحافظ ابن حجر: «والذي يظهر أن سبب عدم شبعهم غالبا كان بسبب قلة الشيء عندهم، على أنهم كانوا قد يجدون ولكن يؤثرون على أنفسهم». [١٠]

٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما أكلَ آلُ محمد صلى الله عليه وسلم أكلتينِ في يومٍ إلا إحداهما تمر» رواه البخاري في صحيحه.[١١]

قال الحافظ ابن حجر: «فيه إشارة إلى أنهم ربما لم يجدوا في اليوم إلا أكلةً واحدةً، فإن وجدوا أكلتينِ فإحداهما تمرٌ».[١٢]

---

[٩] «صحيح البخاري» (٥٤١٦) و(٦٤٥٤) و«صحيح مسلم» (٢٩٧٠)

[١٠] «فتح الباري» (٩/ ٥١٩) و«النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٤/ ١٠٦)

[١١] «صحيح البخاري» (٦٤٥٥)

[١٢] «فتح الباري» (١١/ ٢٩٢)

٦- وعن عُرْوَةَ بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يأتي علينا الشهرُ ما نُوقِدُ فيه نارًا، إنما هو التمرُ والماءُ، إلا أن نُؤتى باللُّحَيْمِ» رواه البخاري ومسلم. [١٣]

(اللُّحَيْم) تصغير (اللَّحْم) إشارة إلى قِلَّتِهِ

ومعنى (إلا أن نُؤتى باللُّحَيْمِ) أي: إلا أن يرسل إلينا أحدٌ شيئا من اللَّحْمِ، فحينئذ نوقد النار ونطبخه. [١٤]

٧- وفي رواية أخرى أنها قالت لعروة: «والله يا ابن أختي، إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أُوقِدَ في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نارٌ. فقال عروة: يا خَالَةُ، فما كان يُعَيِّشُكُم؟ قالت: الأسودان: التمرُ والماءُ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيرانٌ من الأنصارِ، وكانت لهم مَنائحُ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فَيَسْقِيناه» رواه البخاري ومسلم. [١٥]

قولها (إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين) أي نرى الهلال أول الشهر الأول ثم نراه ثانيا في أول الشهر الثاني ثم نراه ثالثا عند انقضاء الشهرين، وبرؤيته يدخل أول الشهر الثالث، فالمدة ستون يوما والمرئي ثلاثة أهلة

---

[١٣] «صحيح البخاري» (٦٤٥٨) و«صحيح مسلم» (٢٩٧٢)

[١٤] «فتح الباري» (١١/ ٢٩٢) و«شرح المصابيح» لابن الملك (٤/ ٥٥٣)

[١٥] «صحيح البخاري» (٢٥٦٧) و(٦٤٥٩) و«صحيح مسلم» (٢٩٧٢)

و(مَنائحُ) جمع مَنِيحة، وهي الناقة أو الشاة التي يُهْدِي صاحبُها لبنَها لأحدٍ من الناس، وذلك إما بإرسالها إليه ليحلبها ويشرب لبنها ثم يردها إليه، أو يقوم صاحبها بحلبها ويرسل لبنها إليه، كما فعله جيران النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار هنا.[١٦]

٨- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «تُوُفِّيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وما في بيتي من شيءٍ يأكله ذو كَبِدٍ، إلا شَطْرُ شعيرٍ في رَفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طال عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ» رواه البخاري ومسلم.[١٧]

وفي رواية الترمذي قالت: «تُوُفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا شَطْرُ من شعيرٍ فأكلنا منه ما شاء الله، ثم قلتُ للجارية: كِيلِيهِ، فَكَالَتْهُ، فلم يَلْبَثْ أن فَنِيَ، فلو كُنَّا تركناه، لأكلنا منه أكثرَ من ذلك». [١٨]

وقال الترمذي: شَطْرُ من شعيرٍ، يعني شيئًا من شعير

قلتُ: والمعنى أن عائشة رضي الله عنها كانت تأكل من هذا الشعير، فلما طال عليها الزمان والشعير لا ينفد، أمرت الجارية بِكَيْلِ هذا الشعير أي حساب مقداره ومعرفة قدره، فلما كالَتَهُ الجارية، وعلمت المدة التي يبلغ إليها، نفد الشعير عند انقضاء المدة، فندمت عائشة أنها كالته،

---

[١٦] «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» للكِرماني (١١/ ١١٠) و«فتح الباري» (٥/ ١٩٨) و(١١/ ٢٩٣) وحاشية «صحيح مسلم» (٨/ ٢١٩ ط التركية)

[١٧] «صحيح البخاري» (٣٠٩٧) و(٦٤٥١) و«صحيح مسلم» (٢٩٧٣)

[١٨] «سنن الترمذي» (٢٤٦٧)

ورأت لو أنها تركته هكذا بدون معرفة كيله، لأكلوا منه زمنا أطول، فكأن البركةَ التي كانت فيه ذهبت لما كالَتَهُ.[١٩]

٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اجعل رِزْقَ آلِ محمدٍ قُوتًا» رواه البخاري ومسلم. [٢٠]

قال العلماء: (القوت) هو ما يَسُدُّ الرَّمَقَ، ويقوم به بدن الإنسان من الطعام. فكأنه صلى الله عليه وسلم طلب مقدار الكفاية من الرزق؛ لأن فضول الدنيا تشغل القلب وتجر إلى حب الدنيا، وفي هذا الحديث فضيلة التقلل من الدنيا، والاقتصار على القوت منها، والدعاء بذلك.[٢١]

١٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قد أفلحَ من أسلمَ، ورُزِقَ كَفافًا، وقَنَّعَهُ اللهُ بما آتاه» رواه مسلم في صحيحه. [٢٢]

---

[١٩] «شرح صحيح البخاري لابن بطال» (٦/ ٢٥٦) و«فتح الباري» (١١/ ٢٨٠)

[٢٠] «صحيح البخاري» (٦٤٦٠) و«صحيح مسلم» (١٠٥٥) واللفظ له

[٢١] «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (٣/ ٤٧٧) و«شرح النووي على مسلم» (٧/ ١٤٦) و«مختار الصحاح» (ص٢٦٢)

[٢٢] «صحيح مسلم» (١٠٥٤)

١١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجلٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني مَجْهُودٌ، فأرسلَ إلى بعضِ نسائِه، فقالت: والذي بعثكَ بالحقِ ما عندي إلا ماءٌ، ثم أرسل إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مثلَ ذلك: لا، والذي بعثكَ بالحقِ ما عندي إلا ماءٌ، فقال: من يُضيُف هذا الليلةَ رحمه الله. فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رَحْلِهِ، فقال لامرأته: ضيفُ رسول الله، لا تَدَّخِرِيهِ شيئا، قالت: والله ما عندي إلا قُوتُ صِبياني، قال: فعَلِّليهِم بشيءٍ، فإذا دخل ضيفُنا أَصْبِحِي السراجَ، وأَرِيهِ أنا نأكلُ، فإذا أهوى ليأكلَ فقومي إلى السراجِ حتى تُطفئيه، ونَطوي بطونَنا الليلةَ. فهيأت طعامَها، وأصبحت سِراجَها، ونَوَّمَتْ صِبيانَها، ثم قامت كأنها تُصْلِحُ سِراجَها فأطفأته، فقعدوا، وجعلا يريانه أنهما يأكلان، وأكلَ الضيفُ، وباتا طاوِيَيْنِ، فلما أصبح الأنصاري غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «قد عَجِبَ اللهُ من صَنيعِكما بضَيفِكما الليلةَ». فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]» رواه البخاري ومسلم.[٢٣]

(إني مَجْهُودٌ) وفي رواية (أصابني الجَهْدُ) أي المشقة والجوع

(فانطلق به إلى رَحْلِهِ) رَحْلُ الإنسان هو منزله.

(فعلليهم بشيء) يقال عَلَّلَهُ بشيء إذا شغله به وألهاه. والمعنى اشغليهم عن طلب الطعام حتى يناموا

(أَصْبِحِي) أوقدي ونوري

---

[٢٣] «صحيح البخاري» (٣٧٩٨) (٤٨٨٩) و«صحيح مسلم» (٢٠٥٤) و«مسند أبي يعلى» (٦١٦٨)

والمعنى أنها أوقدت السراج، ليدخل الضيف في النور، وقدمت الطعام بين يديه، ثم قامت إلى السراج كأنها تصلحه فأطفأته، ثم تظاهرت بأنها تحاول إصلاحه فلا يصلح، فيقول لها زوجها: دعيه وتعالي نأكل، فيتظاهران بالأكل في الظلام ولا يأكلان، إذ لو رأى الضيفُ أنهما لا يأكلان ويؤثرانه بالطعام، فقد يصيبه الحرج، وقد يمتنع عن الأكل أو يأكل قليلا.

(فقعدوا) أي هما والضيف ثلاثتهم على الطعام

(وباتا طاوِيَيْنِ) أي باتا وبطنهما خالية، جائعين لم يأكلا. [٢٤]

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: يقدمون إخوانهم على أنفسهم، ولو كان بهم فاقة وحاجة. فهم يقدمون حاجة إخوانهم على حاجة أنفسهم.

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي من سَلِمَ من الشح فقد أفلح وأنجح، والشح هو البخل مع حرص.[٢٥]

---

[٢٤] «إكمال المعلم بفوائد مسلم» للقاضي عياض (٦/ ٥٤٣) و«شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١١) و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» لابن عِلَّان الصديقي (٤/ ٥٥٣) و«فتح المنعم شرح صحيح مسلم» (٨/ ٢٧٨) لموسى شاهين لاشين

[٢٥] «تفسير ابن كثير – ت السلامة» (٨/ ٧١) و«تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» (١٨/ ٢٩)

١٢- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إن خياطا بالمدينة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لطعامٍ خبز شعير وإهالَةٍ سَنِخَةٍ» رواه أحمد بإسناد صحيح.[٢٦]

(الإهالة) هي الدُهن المذاب، كشحم الحيوان أو أَلْيَةِ الخروف مثلا، تقطع وتذاب، وقيل إنها تطلق أيضا على السمن والزيت.

و(سَنِخَة) بفتح السين والخاء، وكسر النون، وتقال أيضا بالزاي (زَنِخَة) أي متغيرة الرائحة من طول الزمان.[٢٧]

١٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم دِرعًا له بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شعيرا لأهله، ولقد سمعته يقول: «ما أمسى في آل محمد صلى الله عليه وسلم صاع تمرٍ، ولا صاع حَبٍ» قال أنس: وإن عندَه يومَئِذٍ لَتِسْعَ نِسْوَةٍ. رواه البخاري والترمذي. [٢٨]

أما رهنه صلى الله عليه وسلم لدرعه عند يهودي، وقد كان هناك صحابة أغنياء، فقد ذكر العلماء عدة حِكَم لهذا الأمر منها أن هذا لبيان جواز معاملة اليهود بهذه المعاملة وغيرها، أو

---

[٢٦] «مسند أحمد ط الرسالة» (١٣٤٩٧) و(١٣٦٤٣)، وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأصله في «صحيح البخاري» (٢٠٦٩) و(٥٤٣٦)

[٢٧] «غريب الحديث - أبو عبيد - ط الهندية» (٤/ ٣٤٦) و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن المُلَقِّن (١٤/ ١١٦) و«فتح الباري» (٥/ ١٤١) و(٧/ ٣٩٥)

[٢٨] «صحيح البخاري» (٢٠٦٩) و«سنن الترمذي» (١٢١٥)

لأنه خشي أن الصحابة لن يأخذوا منه ثمنا أو عوضا فلم يرد التضييق عليهم، بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم، أو لغير ذلك من الأسباب

و(الصاع) كَيْلٌ معروف عند العرب، وإذا أردنا حسابه بالوزن، فيختلف وزنه بحسب ما يوضع فيه. فمثلا صاع التمر قد يساوي في الوزن ٢ كيلو تقريبا، وصاع الشعير قد يزن ٢,٥ كيلو تقريبا.

وقال العلماء إن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أمسى في آل محمد صلى الله عليه وسلم صاع تمرٍ، ولا صاع حَبٍ» ليس من باب التضجر ولا الشكوى، معاذ الله من ذلك، وإنما قاله من باب بيان الحال، ليكون في ذلك تسلية وعزاء للفقراء والمساكين من أصحابه، أو لعله سُئِلَ في وقت لم يكن عنده شيء، واعتذر بذلك.[٢٩]

١٤- وعن أبي هريرة قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يومٍ أو ليلةٍ، فإذا هو بأبي بكر، وعمر فقال: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا: الجوعُ يا رسول الله. قال: وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا. فقاموا معه، فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت: مرحبا وأهلا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين فلان؟ قالت: ذهب يَسْتَعْذِبُ لنا من الماء، إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال: الحمد لله، ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافًا مني. قال: فانطلق فجاءهم بعِذْقٍ فيه

---

[٢٩] «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٤/ ١١٦) و«الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» لابن المُلَقِّن (٧/ ٣٦٠) و«فتح الباري» (٥/ ١٤١) و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٤/ ٤٦٠)

بُسْرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ، فقال: كلوا من هذه. وأخذ الْمُدْيَةَ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إياك والحلوبَ. فذبح لهم فأكلوا من الشاة، ومن ذلك العِذْقَ وشربوا، فلما أن شَبِعُوا وَرَوُوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر: والذي نفسي بيده لَتُسْأَلُنَّ عن هذا النعيمِ يومَ القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» رواه مسلم في صحيحه.[٣٠]

(فأتى رجلا من الأنصار) جاء في رواية أنه أبو الهيثم بن التَّيِّهان رضي الله عنه

(يَسْتَعْذِبُ لنا من الماء،) أي يأتينا بماءٍ عَذْبٍ

(فجاءهم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتمرٌ ورُطَبٌ) العِذْقُ هو غُصْنُ النخلة، والبُسْر هو البلح عندما يكون أحمر أو أصفر قبل أَن يصير رُطَبًا، فكأنه أتى بهذا العذق الملون ليكون أطرف، وليجمعوا بين أكل الأنواع، فقد يطيب لبعضهم هذا ولبعضهم هذا، وقد أخذ منه بعض العلماء استحباب تقديم الفاكهة على الخبز واللحم وغيرهما، لا سيما إذا كان الضيف جائعا، والطعام يحتاج وقتا لتحضيره.

(الْمُدْيَةَ) هي السِّكِّين

(إياك والحلوبَ) أي إياك أن تذبح لنا الشاة التي تُحْلَبُ وتشربون من لبنها.[٣١]

---

[٣٠] «صحيح مسلم» (٢٠٣٨) وهو في الْمُوَطَّأ أيضا (١٧٠٩) ط نور الصباح

[٣١] «شرح النووي على مسلم» (١٣/ ٢١٣) وغيره

١٥- وعن قَتادَةَ قال: كنا نأتي أنس بن مالك رضي الله عنه، وخَبَّازُهُ قائم، فقال لنا ذات يومٍ: «كلوا، فما أعلمُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم رأى رغيفًا مُرَقّقًا حتى لحِقَ بالله، ولا رأى شاةً سَميطًا بعينِهِ قَطُّ» رواه البخاري في صحيحه.[٣٢]

(وخَبَّازُهُ قائم) أي: خباز أنس الذي يخبز له الخبز قائم عنده للخدمة

(رغيفًا مُرَقّقًا) هو الرغيف الواسع الرقيق، المصنوع من الدقيق الذي نُخِلَ مرةً بعد مرةٍ، حتى صُفِّيَ من النخالة، ويقال له (الرُقاق) بضم الراء

(شاةً سَميطًا) أي شاة مَسْمُوطَة، وهي التي أزيل شعرها بعد الذبح بالماء الساخن ثم شويت بجلدها أو طُبِخَت، وهذا إنما يُصنع بالشاة الصغيرة السن الطرية، قال العلماء: وهو من فعل المترفين من وجهين: أحدهما: المبادرة إلى ذبح ما لو بقي لازداد ثمنه، وثانيهما: أن المسلوخ ينتفع بجلده في اللبس وغيره، والسَّمْطُ يفسده.[٣٣]

١٦- وعن أبي حازم أنه سأل سهل بن سعد رضي الله عنه، فقال: «هل رأيتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النَّقِيَّ؟ قال: لا. فقلتُ: فهل كانت لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مَناخِلُ؟ قال: ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْخُلًا من حين ابتعثه الله حتى قبضه، قلتُ: فكيف كنتم تأكلون الشعير غير

---

[٣٢] «صحيح البخاري» (٥٤٢١) و(٦٤٥٧) و«مسند أحمد» (١٢٢٩٦)

[٣٣] «فتح الباري» (٩/ ٥٣٠) وغيره

منخولٍ؟ قال: كنا نطحنه وننفخه، فيطيرُ ما طار، وما بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ فأكلناه» رواه البخاري في صحيحه. [٣٤]

(النَّقِيَّ) هو الخبز الأبيض الذي نُقِّي دقيقُه من النُّخَالة

(ثَرَّيْنَاهُ) أي بللناه بالماء وعجناه ثم خبزناه[٣٥]

١٧- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: «لقد رأيتُ نبيَّكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدَّقَلِ ما يملأُ به بطنَه» رواه مسلم في صحيحه.[٣٦]

(الدَّقَلِ) تمر رَدِيء. [٣٧]

١٨- وعن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خير أمتي قَرْنِي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يكون بعدهم قوم يَشْهَدُون ولا يُسْتَشْهَدُون، ويَخُونُون ولا يُؤْتَمَنُون، ويَنْذِرُون ولا يُوفُون، ويَظْهَرُ فيهم السِّمَنُ» رواه البخاري ومسلم. [٣٨]

---

[٣٤] «صحيح البخاري» (٥٤١٠) و(٥٤١٣)

[٣٥] «فتح الباري» (٩/ ٥٤٨) و«شرح المصابيح» لابن الملك (٤/ ٥٤٣)

[٣٦] «صحيح مسلم» (٢٩٧٧)

[٣٧] «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٠٩)

[٣٨] «صحيح البخاري» (٣٦٥٠) و«صحيح مسلم» (٢٥٣٥)

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «(ويَظْهَرُ فيهم السِّمَنُ) أَي كَثْرَة اللَّحْم، وَوجه كَونه عَيْبا أَنه يحصل من كَثْرَة الْأكل وَلَيْسَ من الصِّفَات المحمودة، وإنما كان مذموما لأن السمين غالبا بليد الفهم ثقيل عن العبادة كما هو مشهور». [٣٩]

وقال ابن بَطَّال: «(ويَظْهَرُ فيهم السِّمَنُ) هو كناية عن رغبتهم في الدنيا، وإيثارهم شهواتها على الآخرة وما أعد الله فيها لأوليائه من الشهوات التي لا تنفد، والنعيم الذي لا يبيد، فهم يأكلون في الدنيا كما تأكل الأنعام، ولا يقتدون بمن كان قبلهم من السلف، الذين كانت همتهم من الدنيا في أخذ القُوت والبُلْغَة، وتوفير الشهوات إلى الآخرة». [٤٠]

١٩- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «إني لأولُ العربِ رَمَى بسهمٍ في سبيلِ اللهِ، وكنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وما لنا طعامٌ إلا ورقُ الشجرِ، حتى إن أحدَنا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ ما له خِلْطٌ» رواه البخاري ومسلم. [٤١]

(لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ ما له خِلْطٌ) أي عند قضاء الحاجة يخرج منه مثل ما يخرج من الشاة

---

[٣٩] «فتح الباري» (١/ ١٣٤) و(٥/ ٢٦٠)

[٤٠] شرح صحيح البخاري لابن بطال» (٦/ ١٥٦) و(الْبُلْغَةُ) مَا يَتَبَلَّغُ بِهِ الإنسان من العَيْشِ، أي ما يكتفي به من العَيْشِ. «مختار الصحاح» (ص٣٩)

[٤١] «صحيح البخاري» (٣٧٢٨) و(٦٤٥٣) «صحيح مسلم» (٢٩٦٦)

٢٠- وعن عُتْبَةَ بنِ غَزْوَانَ رضي الله عنه قال: «لقد رأيتني سابعَ سَبْعَةٍ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعامٌ إلا ورقُ الشجرِ حتى قَرِحَتْ أَشْداقُنا» رواه مسلم في صحيحه.[٤٢]

(حتى قَرِحَتْ أَشْداقُنا) أَشْداقٌ جمع شِدْقٍ وهو جانب الفم، و(قَرِحَتْ) أي جُرِحَتْ والمعنى أن جوانب الفم جُرِحَتْ من خشونة ورق الشجر وحرارته.[٤٣]

٢١- وعن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال: «قال أبو طلحةَ لأمِّ سُلَيْمٍ: قد سمعتُ صوتَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ضعيفًا أَعْرِفُ فيهِ الجُوعَ، فهل عِندكِ من شيءٍ؟ فقالتْ: نعم، فأرسلاني إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فذهبتُ فوجدتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم جالسًا في المسجدِ ومعه الناس، فقمتُ عليهم، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أرسلكَ أبو طلحةَ؟» قال: فقلتُ: نعم، فقال: «أَلِطعامٍ؟» فقلتُ: نعم، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لمن معهُ: «قوموا»، قال: فانطلقَ وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتُه، فقال أبو طلحةَ: يا أمَّ سُلَيْمٍ قد جاءَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالناس، وليس عندنا ما نُطْعِمُهم، فقالتْ: اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: فانطلقَ أبو طلحةَ حتى لَقِيَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنما صنعتُ لك شيئًا يسيرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن اللهَ سيجعلُ فيه البركةَ، فأقبلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه

---

[٤٢] «صحيح مسلم» (٢٩٦٧)

[٤٣] «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/ ١٩٤) و«المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» لأبي العباس القرطبي (٧/ ١٢٤) و«شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٠٢)

وسلم معه حتى دخلا، فقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: « هَلُمِّي ما عِندكِ يا أمَّ سُلَيْمٍ» فَأَتَتْ بأقراصٍ من خُبْزِ الشعير، فأمرَ به رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عليهِ أمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً لها فَأَدَمَتْهُ، ثم قالَ فيه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ما شاء اللهُ أن يقولُ، ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لهم، فأكلوا حتى شَبِعُوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فَأَذِنَ لهم، فأكلوا حتى شَبِعُوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» حتى أكلَ القومُ كلُّهم وشَبِعُوا، والقومُ سبعونَ رجلًا أو ثمانونَ» رواه البخاري ومسلم. [٤٤]

(هَلُمِّي ما عِندكِ) أي هاتِ ما عندك

(العُكَّةَ) وعاء صغير من جلد يوضع فيه السمن،

(فَأَدَمَتْهُ) أي جعلت السمن إداما للخبز، أي وضعته على الخبز، والإدام هو ما يؤكل مع الخبز كالسمن والعسل واللحم. [٤٥]

٢٢- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: «لـمَّا حُفِرَ الخندقُ رأيتُ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَمَصًا شديدا، فَانْكَفَأْتُ إلى امرأتي، فقلتُ لها: هل عِندكِ شيءٌ؟ فإني رأيتُ برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَمَصًا شديدًا، فأخرجتْ لي جِرابًا فيهِ صاعٌ من شعيرٍ، ولنا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فذبَحتُها، وطَحَنَتِ الشعيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم،

---

[٤٤] «صحيح البخاري» (٣٥٧٨) و(٦٦٨٨) و«صحيح مسلم» (٢٠٤٠) وقد جمعتُ بين الروايات.

[٤٥] «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥/ ٣١١) و«فتح الباري» (٦/ ٥٨٩) و«فتح المنعم شرح صحيح مسلم» (٨/ ٢٣٦)

فقالتْ: لا تفضحني برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومن معه، قال: فَجِئْتُهُ فسارررتُهُ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إنا قد ذبحنا بُهَيْمَةً لنا، وطَحَنَّا صاعًا من شعيرٍ كان عندنا، فتعالَ أنت في نفرٍ معك، فصاح رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقال: «يا أهلَ الخندقِ، إن جابرًا قد صنعَ لكم سُورًا، فَحَيَّهَلا بكم» وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُم حتى أَجِيءَ » فجئتُ وجاء رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقْدُمُ الناسَ حتى جئتُ امرأتي، فقالتْ: بِكَ وبِكَ، فقلتُ: قد فعلتُ الذي قلتِ لي، فأخرجتُ له عجينتنا فبَصَقَ فيها وباركَ، ثم عَمَدَ إلى بُرْمَتِنَا فبَصَقَ فيها وباركَ، ثم قال: «ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ معكِ، وَاقْدَحِي من بُرْمَتِكُمْ ولا تُنْزِلُوهَا» وهم ألفٌ، فأُقْسِمُ باللهِ لقد أَكَلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كما هي، وإن عَجيننا لَيُخْبَزُ كما هو» رواه البخاري ومسلم. [٤٦]

(خَمَصًا) الخَمَصُ هو ضُمُور البطن من الجوع

(فَانْكَفَأْتُ) انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ

(فأخرجتْ لي جِرابًا) الجِرابُ وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ

(صاعٌ من شعيرٍ) الصاع كَيْلٌ معروف عند العرب، وصاع الشعير قد يساوي بالوزن تقريبا ٢,٥ كيلو.

(بُهَيْمَةٌ) تصغير بَهْمَةٌ، وهي الصغير من أولاد الغنم

(دَاجِنٌ) الداجن هو ما يربى في البيوت ولا يخرج إلى المرعى

---

[٤٦] «صحيح البخاري» (٤١٠٢) و«صحيح مسلم» (٢٠٣٩)

(فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي) فرغت امرأتي من طحن الشعير مع فراغي من ذبح البُهَيْمَةُ

(فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا) قَطَّعْتُ اللحم في البُرْمَةِ، والبُرْمَةُ هي القِدْر من الحِجارة.

(لا تفضحني برسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومن معه) أي لا تدع إلا بمقدار الطعام

(صنعَ لكم سُورًا) السُور هو الطعام الذي يُدْعى الناسُ إليه، وقيل هو الطعام مطلقا، وهي لفظة فارسية استعملها العرب.

(فَحَيَّهَلا بكم) أي أقبلوا وهلمُّوا

(بِكَ وبِكَ) هي كلمة لوم وعتاب، قيل إن أصلها فعل الله بك كذا، وفعل بك كذا؛ وذلك لأنه أتى بناس كثير والطعام قليل.

(ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ معكِ) أي اطلبي امرأةً تساعدك في الخَبْزِ

(وَاقْدَحِي من بُرْمَتِكُمْ ولا تُنْزِلُوهَا) أي اغرفي من القِدْرِ، ولا تُنْزِلُوا القِدرَ من فوق الأَثافي، والأَثافي ثلاثة أحجار يوضع عليها القِدرُ.

(تركوه وانحرفوا) أي مالوا عن الطعام وانصرفوا

(وإن بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كما هي) أي ممتلئة تغلي وتفور، بحيث يُسمعُ لها غَطيط، والغَطيط هو صوت غليان القِدْرِ وفورانه.

(وإن عَجيننا لَيُخْبَزُ كما هو) أي لم ينقص منه شيءٌ.[٤٧]

---

[٤٧] «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٦/ ٥١٤) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥/ ٣٠٨) و«شرح النووي على مسلم» (١٣/ ٢١٥) و«فتح الباري» (٧/ ٣٩٨) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» لبدر الدين العَيْني (١٧/ ١٨٢) و«شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (٦/ ٣٢٣) و«فتح المنعم شرح صحيح مسلم» (٨/ ٢٣٢)

٢٣- وعن مُجاهد، أن أبا هريرة رضي الله عنه، كان يقول: «والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي على الأرض من الجوع، وإن كنت لَأَشُدُّ الحَجَر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليستتبعني، فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، فتبسم حين رآني، وعَرَفَ ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: «أبا هِرٍ» قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «الْحَقْ» ومضى، فتبعته، فدخل منزله، فاستأذنتُ، فأذن لي، فدخل، فوجد لبنا في قَدَحٍ فقال: «من أين هذا اللبن؟» قالوا: أهداه لك فلانٌ قال: «أبا هِرٍ» قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «الْحَقْ إلى أهل الصُّفَّة فادعهم لي» قال: وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبنُ في أهل الصُّفَّة؟ كنت أحق أنا أن أُصِيبَ من هذا اللبن شَرْبَةً أتقوى بها، فإذا جاؤُوْا أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بُدٌّ، فأتيتهم، فدعوتهم، فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: «يا أبا هِرٍ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «خذ فأعطهم» قال: فأخذتُ القَدَحَ، فجعلت أعطيه الرجل، فيشرب حتى يَرْوَى، ثم يرد علي القدح، فأعطيه الرجل، فيشرب حتى يَرْوَى، ثم يرد علي القدح، حتى انتهيتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد رَوِي القومُ كلهم، فأخذ القَدَحَ فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: «أبا

هِرٍ» قلتُ: لبيك يا رسول الله، قال: «بقيت أنا وأنت» قلت: صدقتَ يا رسول الله، قال: «اقعد فاشرب»، فقعدت فشربت، فقال: «اشرب» فشربت، فما زال يقول: «اشرب» حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مَسْلَكًا قال: «فأرني» فأعطيته القَدَحَ، فحَمِدَ اللهَ وسَمَّى، وشَرِبَ الفَضْلَةَ». رواه البخاري في صحيحه. [٤٨]

(لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي على الأرض) أُلصِقُ بطني بالأرض

(ما سألته إلا ليستتبعني، فمر ولم يفعل) أي ما سأله عنها ليعرف معناها، بل ليرى ما عليه من الجوع، فيطلب منه أن يتبعه إلى بيته ليطعمه، لكن أبا بكر رضي الله عنه أجابه عن الآية، ولم يفطن لحال أبي هريرة، ثم ذهب وتركه، وكذلك فعل عمر.

(الْحَقْ) أي الحقني واتبعني

(لبنا في قَدَحٍ) القَدَحُ إناءٌ من فَخَّار

(الْحَقْ إلى أهل الصُّفَّةِ فادعهم لي) أي انطلق إلى أهل الصُّفَّةِ

(أهل الصُّفَّةِ) الصُّفَّةُ مكان مُظَلَّل في مؤخر المسجد النبوي، أعده رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون مأوى للفقراء والمساكين والغرباء ممن لا مأوى لهم ولا أهل، وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يغتني منهم أو يتزوج أو يسافر أو يموت.

ومعنى (فإذا جاؤُوْا أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن؟) أي إذا جاء أهل الصُّفَّة فسيأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعطيهم هذا القدح من اللبن

---

[٤٨] «صحيح البخاري» (٦٤٥٢) و «سنن الترمذي» (٢٤٧٧) و«السنن الكبرى للنسائي» (١١٨٠٨)

ليشربوا منه، قبل أن أشرب أنا، فما عسى أن يصل إِلَيَّ من هذا اللبن بعد أن يشربوا منه؟ أي لن يتبقى شيء لي، هكذا ظن رضي الله عنه. [٤٩]

٢٤- وعن المِقْدادِ بن عمرٍو رضي الله عنه قال: « أقبلتُ أنا وصاحبانِ لي، وقد ذهبتْ أسماعُنا وأبصارُنا من الجَهْدِ، فجعلنا نَعْرِضُ أنفُسَنا على أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فليس أحدٌ منهم يقبلُنا، فأتينا النبيَّ صلى الله عليه وسلم فانطلقَ بنا إلى أهلِهِ، فإذا ثلاثةُ أَعْنُزٍ، فقال النبيُ صلى الله عليه وسلم: «احْتَلِبُوا هذا اللبنَ بينَنا». قال: فكنا نَحْتَلِبُ فيشربُ كلُّ إنسانٍ منا نصيبَهُ، ونرفعُ للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبَه، قال: فَيَجِيءُ من الليلِ فَيُسَلِّمُ تسليمًا لا يُوقِظُ نائمًا ويُسْمِعُ اليقظانَ، قال: ثم يأتي المسجدَ فيصلي، ثم يأتي شرابَهُ فيشربُ» رواه مسلم في صحيحه. [٥٠]

(وقد ذهبتْ أسماعُنا وأبصارُنا) أي ضَعُفَتْ حتى قاربتْ الذِهابَ

(من الجَهْدِ) من الجوع والمشقة

(فجعلنا نَعْرِضُ أنفُسَنا على أصحابِ رسولِ الله) أي نتعرَّض لهم ليطعمونا

(فليس أحدٌ منهم يقبلُنا) أي: يطعمنا. وهذا الامتناع ممن تعرضوا له محمولٌ على أنهم ما وجدوا شيئًا يطعمونهم إيَّاه

---

[٤٩] «فتح الباري» (١١/ ٢٨٤) والموسوعة الحديثية في موقع الدرر السنية.

[٥٠] «صحيح مسلم» (٢٠٥٥)

(فَيُسَلِّمُ تسليمًا لا يُوقِظُ نائمًا ويُسْمِعُ اليقظانَ) قال العلماء: هذا من أحسن الأدب؛ لأنه يسمع المنتبه ولا يزعج النائم. والنوم هو كالقُوت للبدن، فقطعه عن الإنسان يؤذيه. [٥١]

٢٥- وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى بالناس، خَرَّ رجالٌ من قامتِهم في الصلاة لما بهم من الخَصاصَةِ، وهم من أصحاب الصُّفَّةِ، حتى يقول الأعرابُ: إن هؤلاء مجانين، فإذا قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصلاةَ انصرف إليهم، فقال لهم: «لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أنكم تزدادون فاقةً وحاجةً» رواه أحمد والترمذي بإسناد صحيح.[٥٢]

(الخَصاصَةِ) هي الحاجة والجوع

(أصحاب الصُّفَّةِ) الصُّفَّة مكان مُظَلَّل في مؤخر المسجد النبوي، أعده رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون مأوى للفقراء والمساكين والغرباء ممن لا مأوى لهم ولا أهل، وكانوا يكثرون فيه ويقلون، بحسب من يغتني منهم أو يتزوج أو يسافر أو يموت.[٥٣]

---

[٥١] «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤/ ٢٧) و«المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٥/ ٣٣١) و«شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١٣)

[٥٢] «مسند أحمد ط الرسالة» (٢٣٩٣٨) و«سنن الترمذي ط الرسالة» (٢٣٦٨) و«شعب الإيمان» للبيهقي (٩٩٥٦)، وقال محققو المسند والسنن: إسناده صحيح، وكذلك قال الألباني.

[٥٣] «فتح الباري» (٦/ ٥٩٥) و«حاشية السِندي على المسند»

٢٦- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: بعثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ ساحلِ البحرِ، ونحن ثلاثمائة، وأمَّرَ علينا أبا عُبيدة بن الجراح، نَرْصُدُ عيرًا لقريش، ومعنا زادٌ من التمر، فكان أبو عبيدة يعطي كل رجل منا قبضةً قبضةً، حتى أوشك التمر على النفاد، فأعطانا تمرةً تمرةً، فكنا نَمَصُّها كَمَا يَمَصُّ الصَبِيُّ، ثم نشرب عليها من الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، ولقد وجدنا فقدها حين فقدناها، وأصابنا جوعٌ شديد حتى أكلنا الخَبَطَ، فَسُمِّيَ هذا الجيشُ جيشَ الخَبَطِ، حتى أتينا البحر فإذا حوتٌ لم نرَ مثله، يُقال له العَنْبَرُ، قد قذفه البحرُ، فأكلنا منه ثمانية عشر يوما ما أحببنا» رواه البخاري ومسلم.[٥٤]

(حتى أكلنا الخَبَطَ) أي ورق الشجر، والعرب تقول خَبَطَ الشجرةَ أي ضربها بالعصا ليسقط ورقها، والورق الساقط منها يسمى الخَبَط.[٥٥]

قال ابن القيم رحمه الله:

«كان هديه وسيرته صلى الله عليه وسلم في الطعام: لا يرُدُّ موجودًا، ولا يتكلَّف مفقودًا. فما قُرِّب إليه شيءٌ من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافَه نفسُه فيتركه من غير تحريم. وما عاب طعامًا قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه، كما ترك أكل الضَّبِّ لما لم يعتَدْه. ولم يحرِّمه على الأمة، بل أُكِل على مائدته وهو ينظر. وأكَلَ الحلوى والعسل وكان يحبُّهما. وأكل لحم الجَزور والضَّأن والدَّجاج، ولحم الحُبارى، ولحم حمار الوحش والأرنب، وطعام البحر. وأكل الشِّواء، وأكل

---

[٥٤] «صحيح البخاري» (٢٩٨٣) و(٤٣٦٠) و(٤٣٦١) و(٤٣٦٢) و«صحيح مسلم» (١٩٣٥) وما ذكرته هو مختصر هذه الروايات.

[٥٥] «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١/ ٢٤٦) و«مختار الصحاح» (ص٨٧)

الرُّطَب والتمر. وشرب اللبن خالصًا ومَشُوبًا، والسَّويق، والعسل بالماء. وشرب نقيعَ التمر. وأكل الخَزيرة، وهي حِساء يُتَّخَذ من اللبن والدقيق. وأكل القِثَّاء بالرُّطَب. وأكل الأَقِط. وأكل التمر بالخبز، وأكل الخبز والخلَّ. وأكل الثريد، وهو الخبز باللحم. وأكل الخبز بالإهالة، وهي الوَدَك، وهو الشحم المذاب. وأكل من الكبد المشويَّة، وأكل القَدِيد. وأكل الدُّبَّاء المطبوخة وكان يحبُّها، وأكل المسلوقة. وأكل الثَّريد بالسَّمن، وأكل الجبن، وأكل الخبز بالزيت، وأكل البطِّيخ بالرُّطَب. وأكل التمر بالزُّبْد، وكان يحبه. فلم يكن يرُدُّ طيِّبًا، ولا يتكلَّفه؛ بل كان هديُه أكلَ ما تيسَّر، فإن أعوَزه صبَر حتى إنه ليربِط على بطنه الحجرَ من الجوع، ويُرَى الهلالُ والهلالُ والهلالُ، فلا يوقد في بيته صلى الله عليه وسلم نار!». [٥٦]

قلتُ: (الثَّرِيدِ) هو الخبز المُفَتَّتُ في مرق اللحم أو اللبن أو غيرهما، إلا أنه في الغالب يكون بمرق اللحم، وهو ما يُسمى الآن (فَتَّة)، ومن أمثال العرب «الثَّرِيد أَحَدُ اللَّحْمَيْن» ومن فوائده أنه لا يحتاج في تناوله إلى المضغ، وهو سريع الهضم، وكثير النفع. فالثريد إنما هو الخبز مع المرق بدون اللحم، ولكن أحيانا قد تطلق كلمة الثريد ويراد بها مع الخبز والمرق اللحم أيضا. [٥٧]

ثالثا: ما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم

---

[٥٦] «زاد المعاد في هدي خير العباد – ط عطاءات العلم» (١/ ١٤٨)

[٥٧] «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٤١٩) و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٢٠٩) و«فتح الباري» (٩/ ٥٥١) «الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري» للكوراني (٦/ ٢٩٥) و«معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/ ١٦٦٣)

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأكل الزيت عام الرَمادة، وكان حرَّم على نفسه السَّمْنَ.[٥٨]

٢- عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: أُتِيَ عمرُ بن الخطاب بِخُبْزٍ وزيتٍ، فجعل يأكل منه ويمسح على بطنه، ويقول: «والله لَتَمْرُنَنَّ أيها البطنُ على الخبز والزيت ما دام السَمْنُ يُباع بالأَواقي».[٥٩]

(لَتَمْرُنَنَّ) أي لتَتَعَوَّدَنَّ، تقول العرب مَرَنَ على الشيء أي تَعَوَّدَهُ واستمرَّ عليه.

و(الأواقي) بتشديد الياء أو بتخفيفها للتخفيف، وهي جمع (أُوقِيَّة) بضم الهمزة والتشديد، وهي عند العرب أربعون درهما.[٦٠]

٣- وعن محمد بن يحيى بن حَبَّان قال: أُتي عمر بن الخطاب بصَحْفَةٍ فِيهَا خُبْزٌ مَفْتُوتٌ بِسَمْنٍ عامَ الرَّمادَةِ، فدعا رجلا بدويا فجعل يأكل معه، فجعل البدوي يَتْبَعُ باللقمةِ الوَدَكَ في جانب الصَحْفَة، فقال له عمر: كأنك مُقْفِرٌ، فقال: والله ما

---

[٥٨] «الزهد لأحمد بن حنبل» (٦٠٨) و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٣١٣) بإسناد صحيح

[٥٩] «الزهد لأبي داود» (٥٧) و«فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل» من زيادات عبد الله (٤٧١) و«الجوع لابن أبي الدنيا» (٢٨) وإسناده صحيح

[٦٠] «مختار الصحاح» (ص٢٩٣) وقال: (مَرَنَ) عَلَى الشَّيْءِ من باب (دَخَلَ) و«المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» (٢/ ٦٦٩)

أكلت سمنا ولا رأيت آكلا له منذ كذا وكذا، فحلف عمر لا يأكل سمنا ولا لحما حتى يحيا الناس من أول ما أحيوا. [٦١]

(صحْفَةٍ) إِنَاء من آنِية الطَّعَام

(عامَ الرَّمادَةِ) هو العام الذي حدثت فيه مجاعة شديدة في أرض الحجاز، وكان ذلك عام ١٨ هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(الوَدَكَ) الدَّسَم

(كأنك مُقْفِرٌ) بسكون القاف وكسر الفاء، تقول العرب أَقْفَرَ الرجل: إذا أكل الخبز وحده ولم يأكل معه شيء، والمعنى أن عمر لما رآه يتتبع الدسم في صحفة الطعام، قال له: (كأنك مُقْفِرٌ) أي كأنك كنت تأكل الخبز وحده فيما مضى ولا تجد شيئا تأكله معه. [٦٢]

٤- ولَقِيَ عمر بن الخطاب جابر بن عبد الله ومعه لحم قد اشتراه بدرهم، فقال له ما هذا يا جابر؟ فقال له جابر إنه وأهله قد اشتهوا اللحم، فقال عمر: أو كلما اشتهيتم شيئا اشتريتموه! أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه عن جاره أو ابن عمه؟ أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] [٦٣]

---

[٦١] «موطأ مالك» (١٧١٠) و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٣١٢) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٤٦٤) و«تاريخ المدينة» لابن شبة (٢/ ٧٤٠)

[٦٢] «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» (٢/ ١٩١) و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/ ٨٩) و«المعجم الوسيط» (١/ ٥٠٨) و(٢/ ١٠٢٢)

[٦٣] «موطأ مالك» (١٧١٨) و«سنن سعيد بن منصور» (١٩٨٢) «الزهد لأحمد بن حنبل» (٦٥٣) و«الزهد لأبي داود» (٦٢) من عدة طرق.

ومعنى (يطوي بطنه عن جاره أو ابن عمه) أي: يترك بطنه خالية ويؤثر جاره أو ابن عمه بطعامه.[٦٤]

٥- وقال الحسن البصري: قدم على أمير المؤمنين عمر وفدٌ من أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري، قالوا: فكنا ندخل عليه، وله كل يوم خُبْزٌ، فربما وافقناه مأدوما بسمن، وربما وافقناه مأدوما بزيت، وربما وافقناه مأدوما باللبن، وربما وافقنا القدائد اليابسة قد دُقَّتْ ثم أُغْلِيَ بها، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل، فقال لنا يوما: «إني والله لقد أرى تعذيركم، وكراهيتكم لطعامي، وإني والله لو شئت لكنت أطيبَكم طعاما، وأرقَكُم عيشا، ولكني سمعت الله تعالى عَيَّرَ قوما بأمر فعلوه، فقال : ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]». [٦٥]

(مأدوما بسمن) الإدام هو ما يُأْكَلُ مع الخبز

(القدائد) جمع (القديد) وهو اللَّحْم الذي قُطِعَ طولا، ومُلِّحَ وجُفِّفَ فِي الْهَوَاء وَالشَّمْس

(اللحم الغريض) هو اللحم الطري

(تعذيركم) أي تقصيركم في الأكل. [٦٦]

---

[٦٤] «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٤٦) وغيره

[٦٥] «الزهد والرقائق» لابن المبارك (٥٧٩) و«الزهد» لأحمد بن حنبل، نقلا عن «حادي الأرواح ط عطاءات العلم» (١/ ٥٢٥) و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٢٧٩) و«تاريخ المدينة لابن شبة» (٢/ ٦٩٦)

[٦٦] «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٩٨) و«لسان العرب» (٢/ ٨٣) و«المعجم الوسيط» (٢/ ٦٥٠) و(٢/ ٧١٨)

٦- وعن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب: «لا تَنْخُلُوا الدَّقِيقَ، فإنه كُلَّهُ طعامٌ».[٦٧]

٧- وعن زيد بن أَسْلَمَ عن أبيه قال: كان عمر ينهى أن يُتَّخَذَ الْمُنْخُل، ويقول: «إنما عَهْدُنَا بالشعير حديثا، فما تَرْضَوْنَ أن تأكلوا سَمْرَاءَ الشام، حتى تنخلوه!». [٦٨]

(سَمْرَاءَ الشام) يعني القمح

عثمان بن عفان رضي الله عنه

٨- عن شُرَحْبِيل بن مُسلمٍ «أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يُطْعِمُ الناسَ طعامَ الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكلُ الخل والزيت». [٦٩]

عبادة بن الصامت رضي الله عنه

٩- وعن عُبادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه، أنه كان يقول: «إنما البَطْنُ هاتِ هاتِ، كفاكم ما سَدَّهُ عنكم». [٧٠]

أبو هريرة رضي الله عنه

١٠- عن محمد بن سيرين قال: «كنا عند أبي هريرة، وعليه ثوبان مُمَشَّقَانِ من كَتَّانٍ، فَتَمَخَّطَ، فقال: بَخٍ بَخٍ، أبو هريرة يَتَمَخَّطُ في الكَتَّانِ، لقد رأيتُني وإني لَأَخِرُّ فيما بين مِنْبَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة مغشيًا علي، فيجيء

---

[٦٧] «الزهد للمعافى بن عمران الموصلي» (٢٥٥) و«الزهد والرقائق لابن المبارك» (٥٨٢)

[٦٨] «الزهد للمعافى بن عمران الموصلي» (٢٥٣) و«الزهد لأبي داود» (٧٣)

[٦٩] «الزهد لأحمد بن حنبل» (٦٨٤)

[٧٠] «الجوع لابن أبي الدنيا» (٢٥)

الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنونٌ، وما بي من جنونٍ، ما بي إلا الجوعُ». [٧١]

(مُمَشَّقَانِ) أي مصبوغان بالمِشْق، وهو صِبْغٌ أَحْمَر.

(الكَتَّانِ) بفتح الكاف، وليس بكسرها كما تنطقه العامة.

(فَتَمَخَّطَ) الْمُخَاطُ هو مَا يَسِيلُ مِنَ الْأَنْفِ.

(بَخٍ بَخٍ) هي كلمة تقال عند الرضا والإعجاب

(فيضع رجله على عنقي) كانت تلك عادتهم بالمجنون حتى يفيق. [٧٢]

١١- وعن حُمَيْدِ بن مالك قال: «كنتُ جالسًا مع أبي هريرة بأرضه بالعَقِيق. فأتاه قومٌ من أهل المدينة على دواب. فنزلوا عنده. فقال لي أبو هريرة: اذهب إلى أمي فقل: إن ابنك يقرئك السلام، ويقول: أطعمينا شيئا. قال: فوضعتْ ثلاثةَ أقراصٍ من شعيرٍ، وشيئًا من زيتٍ ومِلحٍ في صَحْفَةٍ، ثم وضعتْها على رأسي، وحملتها إليهم. فلما وضعتُها بين أيديهم، كَبَّرَ أبو هريرة، وقال: الحمد لله الذي أشبعنا من الخبز بعد أن لم يكن طعامُنا إلا الأسودينِ التمرَ والماءَ. فلم يُصِبِ القومُ من الطعامِ شيئًا». [٧٣]

---

[٧١] «صحيح البخاري» (٧٣٢٤)

[٧٢] «غريب الحديث - ابن الجوزي» (٢/ ٣٦٠) و«مختار الصحاح» (ص٢٦٦) و(ص٢٩١) و«فتح الباري» (١٣/ ٣٠٧) و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٥/ ٥٦) و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٤/ ٤٥٨)

[٧٣] «موطأ مالك» (١٧١٣) «الأدب المفرد للبخاري» (٥٧٢) وقال الألباني: إسناده صحيح

عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

١٢- عن نافع قال: جاء رجل إلى ابن عمر بجَوَارِش، فقال: ما هذا؟ قال: هذا يَهْضِمُ الطعامَ، قال: إنه ليأتي عَلَيَّ الشهرُ ما أشبع من الطعام فما أصنع به». [٧٤]

١٣- عن نافع، قال: «كان ابن عمر يجمع أهله على جَفْنَةٍ كل ليلة، فربما جاء سائلٌ، فيأخذ ابن عمر نصيبه من الثَّرِيدِ فيدفعه إليه، ثم يرجع وقد أُكِلَ ما في الجَفْنَةِ، ثم يصبح صائما». [٧٥]

(الجَفْنَة) كالقَصْعَة

١٤- وعن ميمون بن مِهران، قال: قال ابن عمر: «أما والله إني أرى ستجعلون ما رزقكم الله في بطونكم وعلى جلودكم، وتتركون أراملَكم ويتاماكم ومساكينَكم». [٧٦]

١٥- وعن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبًا أول ما جاء العنب، فأرسلت صَفِيَّةُ امرأته الجارية، فاشترت له عُنْقُودًا بدرهم، فرآها مسكين يسأل فاتبعها، فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، ثم اشتروا له عنقودا آخر، فجاء المسكين يسأل مرة

---

[٧٤] «الزهد للمعافى بن عمران الموصلي» (٢٢٨) و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤/ ١٥٠) وإسناده صحيح

[٧٥] «الجوع لابن أبي الدنيا» (٥٠) و«الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤/ ١٦٥) و«الزهد لأبي داود» (٢٩٧)

[٧٦] «الجوع لابن أبي الدنيا» (٥١)

أخرى، فقال ابن عمر: أعطوه إياه، فأعطوه إياه، فأرسلت صَفِيَّةُ إلى السائل فقالت: والله لئن عُدْتَ لا تصيب مني خيرًا أبدا، فَكَفَّ، فاشتروا له عُنْقُودًا.[٧٧]

١٦- وعن أنس بن سيرين أن عبد الله بن عمر اشتهى سمكًا طريًا، فَأُتِيَ به على رأس أميال من المدينة قد شُوِيَ له، وجُعل له خُبْزٌ رِقَاقٌ، فَأُتِيَ به عند إفطاره على خِوَانٍ، فجعل ينظر فيه، فقال: «اذهبوا به إلى يتامى بني فلانٍ»، فقالت له صَاحَبَتُهُ: خذ منه شهوتَك، ثم نذهب به إلى يتامى بني فلان، قال: «اذهبوا به إلى يتامى بني فلان، فإنه إذا أخذوا منه شهوتَهم، فقد أخذتُ منه شهوتي». فرددتْ عليه، فكل ذلك يقول لها مثل ذلك. [٧٨]

(خِوَانٍ) الخِوان: هو ما يوضع عليه الطَّعام عند الأكل.

سَمُرَة بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه

١٧- وعن الحسن البصري قال: قِيلَ لِسَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ: إن ابنكَ بَشِمَ البارِحَةَ، قال: «لو مات ما صَلَّيْتُ عليه». [٧٩]

(بَشِمَ) أي أصابته التُّخَمَةُ من كثرة الأكل.[٨٠]

---

[٧٧] «الزهد والرقائق لابن المبارك» (٧٨٢) و«الزهد لأحمد بن حنبل» (١٠٥٢) و«الجوع لابن أبي الدنيا» (٦٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٠٦)

[٧٨] «الجوع لابن أبي الدنيا» (٢٩٠)

[٧٩] «الزهد للمعافى بن عمران الموصلي» (٢٢٧) «الزهد لأحمد بن حنبل» (١١٠٥) و«الجوع لابن أبي الدنيا» (٧٣)

[٨٠] «المعجم الوسيط» (١/ ٥٩)

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

١٨- وعن عبد العزيز بن أبي حازم قال: أمست عائشة صائمة وليس عندها إلا رغيفان، فجاء سائل، فأمرت له برغيف، ثم جاء آخر، فأمرت له بالرغيف الآخر، فأبت مولاتها أن تدفعه إليه، فطرحته إليه عائشة من تحت السِتْرِ، فقالت لها مولاتها: انظري على ما تُفْطِرِينَ، فلما أمست عائشة، إذا ضارب يضرب الباب، فقالت: من هذا؟ قال: رسول آل فلان، وما كانوا أهدوا إلى عائشة من قبل ذلك شيئا، فدخل، فإذا هو يحمل شاة مشوية عليها خبز، فقالت لها عائشة: هذا خيرٌ من رغيفك. [٨١]

رابعا: ما جاء عن التابعين والسلف رحمهم الله عز وجل

١- عن مُنْذِرٍ الثوري أن الرَّبِيعَ بن خُثَيْمٍ قال لأهله: اصنعوا لي خَبِيصًا - وكان لا يكاد يشتهي عليهم شيئا- فصنعوه، فأرسل إلى جارٍ له مُصَابٍ كان به خَبْلٌ، فجعل يُلْقِمُهُ، فيأكلُ ولُعابُهُ يسيلُ، فقال أهله: تكلفناه وصنعناه، ثم أطعمتَ هذا! ما يدري هذا ما يأكل! فقال الرَّبِيعُ: لكن الله يدري. [٨٢]

(خَبِيصًا) الخَبِيص نوع من الحلوى يُصنع من دقيق وتمر وسمن. [٨٣]

---

[٨١] «موطأ مالك» (١٨٥٦) و«الجوع لابن أبي الدنيا» (٢٧٥) و«البر والصلة لابن الجوزي» (٣٣٣)

[٨٢] «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٨٨) و«الجوع لابن أبي الدنيا» (١٠٨) و«المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٦٧)

[٨٣] معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٦١٠)

٢- وعن هشام أن الحسن البصري قال: «والله لقد أدركتُ أقوامًا، ما أمر أحدُهم في بيته بِصَنْعَةِ طعامٍ له قَطُّ، إن كان أحدُهم ليأكلُ فما عدا أن يُقَارِبَ شِبَعَهُ يُمْسِكُ. وقال الحسن: والله لأن يَنْبِذَ طعامًا للكلبِ خيرٌ من أن يَأكلَ فوقَ شِبَعِهِ».[٨٤]

(يَنْبِذ) يُلقي

٣- وعن عُقْبَةَ قال: دخلتُ على الحسن البصري، فوافيته يتغدى خبزا ولحما، فقال: هَلُمَّ إلى طعام الأحرار، فقلت: أكلتُ لا أستطيعُ أن آكل، فقال: سبحان الله، ويأكلُ المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل! [٨٥]

٤- وعن مَسْلَمَةَ بن عبد الملك قال: دخلتُ على عمر بن عبد العزيز بعدَ صلاة الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر، فلا يدخل عليه أحدٌ، فجاءته الجارية بطبق عليه تمرٌ صَيْحَانِيٌّ، وكان يُعْجِبُهُ التمر، فرفع بكفيه منه، فقال: يا مسلمة، أترى لو أن رجلا أكل هذا، ثم شرب عليه من الماء، أكان مجزيه إلى الليل؟ قلتُ: لا أدري، فرفع أكثر منه، فقال: فهذا؟ قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين، كان كافيه دون ما هذا حتى ما يبالي أن لا يذوقَ طعاما غيره، قال: فعلام تُدْخَلُ النارُ! قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت مني هذه. [٨٦]

(فعلام تُدْخَلُ النارُ) أي فلماذا يدخل أحدٌ النار، مع أن هذا القدر من الطعام يكفيه، وكأنه يشير إلى فعل الناس للمهلكات من أجل حرصهم على الطعام والشراب.

---

[٨٤] «الزهد لأحمد بن حنبل» (١٤٦٨) و«الجوع لابن أبي الدنيا» (٦٧)

[٨٥] «الزهد لأحمد بن حنبل» (١٥٢٣)

[٨٦] «الزهد والرقائق لابن المبارك» (٧٨٣) و«الورع لأبي بكر المَرُّوذِي» (٣٣٠)

٥- وقال عبد الرحمن بن زيد: «أولُ ما يَعْمَلُ فيه العبدُ المؤمنُ بَطْنَهُ، فإن استقامَ له بطنُهُ استقام له دينُه، وإن لم يستقم له بطنُه لم يستقم له دينُه». [٨٧]

٦- وقال محمد بن واسع: «من قَلَّ طعامُه فَهِمَ وأفهمَ، وصَفا ورَقَّ، وإن كثرةَ الطعامِ لَيُثْقِلُ صاحبَه عن كثيرٍ مما يريد». [٨٨]

٧- وعن عبد الواحد بن زياد قال: سمعت مالك بن دينار، يقول لحَوْشَبٍ: «يا أبا بِشْرٍ، احفظ عني اثنتينِ: لا تَبيتنَّ وأنت شبعانٌ، ودَعِ الطعامَ وأنت تشتهيه» فقال له حَوْشَبٌ: يا أبا يحيى، هذا وصف أطباء أهل الدنيا، قال: ومحمد بن واسع يسمعُ كلامَهما، فقال محمد: «نعم ووصف طريق أهل الآخرة» فقال مالك: « بَخٍ بَخٍ، دار الآخرة والدنيا». [٨٩]

(بَخٍ بَخٍ) هي كلمة تقال عند الرضا والإعجاب

٨- وقال إبراهيم بن أدهم: «من ضَبَطَ بطنَه ضَبَطَ دينَه، ومن مَلَكَ جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصيةَ الله بعيدةٌ من الجائع، قريبةٌ من الشبعان، والشِّبَعُ يُمِيتُ القلبَ، ومنه يكون الفَرَحُ والمَرَحُ والضحك». [٩٠]

٩- وقال عبد الله بن المبارك:

«ومِن البلاءِ وللبلاءِ علامةٌ ... أن لا يُرَى لك عن هَوَاك نُزُوعُ

---

[٨٧] «الجوع لابن أبي الدنيا» (١٠١)

[٨٨] «الجوع لابن أبي الدنيا» (٤٩) و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٥١)

[٨٩] «الجوع لابن أبي الدنيا» (٤٨) و«حلية الأولياء» (٢/ ٣٥١)

[٩٠] «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٢/ ٤٧٣)

العبدُ عبدُ النَّفْسِ في شَهَواتِها ... والحُرُّ يشبعُ مرّةً ويَجُوعُ» [٩١]

وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله:

«أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما، والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات، ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء» [٩٢]

وقال ابن الجوزي رحمه الله:

«اعلم أن الله عز وجل جعل قِوام هذا البَدَن بالأغذية، وأقام الشهوةَ تحثُّ على تناولها، إلا أن للأغذية انبساطًا في الْمِعَى بعد التناول، فينبغي للإنسان أن يرفع يده عن الطعام وهو يشتهيه بعضَ الشهوة؛ لأنه يَنْبَسِطُ في المعدة فيذهب أثرُ ذلك الْمُتَقاضى.

---

[٩١] «سير أعلام النبلاء – ط الرسالة» للذهبي (٨/ ٤١٧)

[٩٢] «إحياء علوم الدين» (٣/ ٨٠)

فأما الشبع فإنه يؤذي؛ لأنه تناول بما تقتضيه الشهوة، فإذا انبسط الطعام تأذى المتناول، فلذلك ذُمَّ، وهو يوجب رَهَلَ البدن وتكاسله وكثرة النوم وبلادةَ الذهن، وذلك بتكثير البخار في الدماغ حتى يغطي مكان الفكر وموضع الذكر، ويجلب أمراضًا أُخر. ومقام العدل رفع اليد مع بقاء شيء من الشهوة، ونهاية المقام الحسن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلث طعام، وثلث شراب، وثلث نَفَس» فالأكل على مقام العدل يُصِحُّ البدن وينفي المرض، وذلك ألا يتناول الطعام حتى يشتهيه، ثم يرفع يده وهو يشتهيه، فمن قَصَّر عن هذه الحالة بقي في نفسه المنازعة إلى الطعام، فشغل ذلك قلبه، كما لو كان عنده وقت أكله كلب فلم يُلْقِ إليه، فإنه لا يُهَنِّيه الأكل» [٩٣]

وقال ابن الجوزي أيضا: «من تَعَوَّدَ استِدامَة الشِّبَعَ فينبغي له أن يُقلل من مطعمه يسيرًا يسيرًا مع الزمان، إلى أن يقف على حد لا يُنْقِصُ فيه قوتَه ولا يُضْعِفُ بدنَه، واعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأحوال والأخلاق الوسط، إذ خير الأمور أوساطها، فالأولى في الأكل تناول مالا يُثقل عن العبادة، ولا يمنع من الطاعة، ويكون سببًا لبقاء القوة، فلا يحس المتناول بجوع ولا شبع، فحينئذ يصح البدن، ويجتمع الهمُّ، ويصفو الفكر».[٩٤]

---

[٩٣] «منهاج القاصدين» لابن الجوزي (ص ٦٢٩)

[٩٤] «منهاج القاصدين» لابن الجوزي (ص ٦٣١) باختصار